شامخ في نكبته • لا تغبطن أخا الدنيا بغرته • مينا وإن كان ذا عز وسلطان •

• يكفيك من عجب الأيام ما صنعت • حوادث الدهر بالفضل بن مروان •

• إن الليالي لم تحسن إلى أحد • إلا أساءت إليه بعد إحسان •

ووصف بعض البلغاء عاملا للمأمون فقال يا أمير المؤمنين ما ترك فضة إلا فضها ولا ذهبا إلا ذهب به، ولا علقا إلا علقه، ولا ضيعة إلا أضاعها، ولا غلة إلا غلها، ولا عرضا إلا عرض له، ولا دقيقا إلا دقه، ولا رفيعا إلا أزمه، ولا جليلا إلا أجلاه، ولا ماشية إلا امتشها فضحك منه وصرفه عن العمل ولا عتبة. ووصف بعضهم عاملا وكان ذميما فقال والله ما الذئب في الغنم بأعبث من ابنه ولا القاضي ولا السوس في الخز والصنعاء إلا من أعمال ولا يبرح جده إلا في أمثل ما رس بالأ غاية أبيه إلا من الشيب والحصر بغير الشعراء والقاضي ولا من عوب ... أسراء بل إذا ما جلسته به إلا من الملائكة الصغى. ووصف أعرابي عاملا فقال كان يجبي خراج الوحش بالجزية المسلم ويطلب زكاة الملائكة ويمنع جمع الريح ويروم الصنعة على الماء، وحرك الحصا وكيل الأنهار وتحصيل الهباء. ومن كانت النعمة عظمت على قوم خرج عنهم نفر حلت المصيبة بقوم نزل بهم وقدم البديع التمر لنا ضيفا ووصفه بالعلم فقال ما فلان إلا شأمي عنى أعرف من السكر والجمام ويرى به إلى الحكام ولا ولي أمر من يده من الفقه التي يرجع على الفقيه ولا يتبعه أحد إليه من غمرات الخضوع على الكيس المختوم ولا وكيل أعمى بوبه من السربال والقميص وفتى العلو والغشي وأقسم لو أن اليتيم وقع بين أنيابه لاستوى بل بين أنياب الأسود لكانت سلامته منهما أيسر من سلامته من أصحابه وما كلفه زجل يعادي الله في العلن ويبيع الدين بالثمن البخس ومن هو لا ينفق إلا خزائن الله وقال وكن لا يغير إلا على الضعفاء وذيب لا يفترس عباد الله إلا بين الركوع والسجود ومحارب لا ينهب مال الله إلا بين المعروف والمشهود. وقيل لبعض الأعراب أيما أحب إليك أن تلقى الله ظالما أو مظلوما فقال لا أقبل الله ويحك ولئن قال ما عذر إذا قال لي خلقتك سويا فويل ثم تستعر وأنشأ ينشد زمنا من الخير سلمى •

• ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه • يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم •

ومن

ومن خلائق من رغب عن الكبائر إيثار الحشمة بارتكاب الصغائر

يحكى أن نصر بن سيار مر بباب المنتصر وكان شريفا في قومه وهو ثمل سكران فقال له أفسدت شرفك فقال أبو الهندي لولا إفسادي شرفي لم تكن أنت والي خراسان وكان يزيد ابن معاوية يلعب بالسكران لكثرة إدمانه على الشراب ولعب أحيانا من الخمر بلغه أن السمور من شرعه تشرب الخمر فكتب إلى عامله بالمدينة أن يجلد السمور حد الخمر فجعل يقال السمور: أشربها من أن تفوتنا ناسا أبو فاتك ومن الحمد بغرب مسرور، وكان له قرد يكنى أبا قيس يحضر مجلس شرابه ويطرح له متكأ ويسقيه فضلة كأسه واتخذ له أتانا وحشية قد ريضت له وذللت وصنع لها سرج ولجام من ذهب يركب بها عليها ويسابق بها الخيل يوم الحلبة والرهان فجاء يوما سابقا وتناول القصبة التي هي الغاية ودخل الحجرة قبل مجيء الخيل وعليه قباء وقلنسوة من الحرير الأحمر وفيه يقول بعض شعراء الشام •

• تمسك أبا قيس بفضل عنانها • فليس عليها إن سقطت ضمان •

• ألا من رأى القرد الذي سبقت به • جياد أمير المؤمنين أتان •

كان الأمين محمد بن هارون الرشيد ماجنا زنديقا مستهترا مستخفا مستهينا بالخلافة والإمامة مدمنا للخمر منقطعا باللهو واللعب مصرا على ارتكاب الفواحش مشتغلا بجليسه عن النظر في أمور المسلمين والقيام بحقوق الخلافة وأمور المملكة وأحوال الرعية وفيه يقول القائل

• تفكر الخلفاء بالأمين المحبس • وأصحت الأمة للأوليس •

• تشاغل عن رعيته بلهو • وخالف قول ذي الرأي الشديد •

ذكر ثعالة المؤرخين أن الوليد أذن يوما للصلاة وهو بلهو فأمر جارية من جواريه أن تعتم وتتلثم وتصلي بالناس ففعلت عن الصلاة وصلت بهم وبلغ من تمسكه بالشريعة أنه كان يفطر في رمضان وأنشأ من عليه بذلك ما يقال إنه من شعره

• ألا من مبلغ الرحمن عني • بأني تارك شهر الصيام •

ومنه • إذا ما السائل عن ديننا • فنحن على دين أبي شاكر •

• نشربها صرفا وممزوجة • بالسخن أحيانا وبالفاتر •

وحكي أنه استرعى الشعب الجامع من المدينة وألبسه سراويل من جلود له